أنور الجندي في حوار لم ينشر:

• كنت آخر من التقى عمالقة التجديد الإسلامي وتعلمت منهم

• لم أترك مصلحاً أو أديباً أو مفكراً إسلامياً إلا كتبت عنه

الأستاذ أنور الجندي، الكاتب الإسلامي والمفكر الرائد: من الجواهر التي لا تزال تلمع وتسطع في ذكريات جميع الذين عرفوه، وبالنسبة لي - فوق ما تقدم - الجار القريب الذي أتفاءل برؤيته كل صباح عندما نلتقي عند بائع الصحف القريب من منزله بالجيزة، وهو عندي ذكرى عزيزة غالية تترنم بها نفسي.. ولذا كان هذا الحوار:

أجرى الحوار
السيد عبد المحكم السيد

*** نود أن نعرف شيئاً عن مطالع حياة الكاتب «أنور الجندي» وتاريخ الميلاد، ومكانه، وأثر ذلك على حياته وفكره.**

– ولدت في الخامس من ربيع الأول سنة ١٣٣٥هـ الموافق ديسمبر سنة ١٩١٦م في مدينة ديروط من أعمال محافظة أسيوط بمصر.

واسمي كاملاً هو «أنور سيد أحمد الجندي فرغلي فارس الشاعر».

وأصول الأسرة أساساً من اليمن – منطقة الحديدة – هاجرت إلى مصر، وكان والدي من رجال الأعمال وتجار الأقطان، وكان من محبي أهل العلم والفضل، عودنا على صلاة الفجر في مسجد البلدة، فكان يوقظنا لنتادي للصلاة في طرق المدينة، ولنهرع إلى المسجد حيث ندير حلقات «الكراكة» – البكرة – القائمة على البئر لترفع الماء إلى صنابير المياه في المسجد، حتى إذا انتهينا من ذلك صعدنا إلى المنارة – المئذنة – نسبق المؤذنين لنؤدي ما يسمى (المبادرة).

وقد ربانا – رحمة الله عليه – على الإيمان العميق وحب الناس ومساعدتهم، ورعاية الجار والاتصال بالعلماء وحضور مجالس العلم التي كانت تعقد في المساجد من صلاة العصر إلى صلاة المغرب.

وكنا نذهب إلى منزل جدنا للوالدة، القاضي الشرعي، فنجد عنده كتب التراث التي كان يحبها فنعجب لكتابتها بالخط الأسود الشيني في براويز أنيقة. وكانت العناوين تكتب بالحبر الأحمر.

وكان يأتي بالصحيفة اليومية ويدعونا إلى قراءتها، ونتنافس على قراءة عناوينها وفهم موضوعاتها، ونشأنا وفي بيتنا مكتبة حافلة، فقرأنا في مطالع الحياة في مقدمة ابن خلدون، وإحياء للغزالي، وتفسير الجلالين، والبخاري، وقصص الأنبياء، فنفهم قليلاً ولكنا نحس بأن هناك جواً عطراً مونقاً من رحمات الله، خاصة عندما بنى الوالد مسجداً أمام منزلنا، فكنا ننتقل من مجالس الذكر إلى حلقات العلم، وكان يجمعنا لنقرأ معاً آيات القرآن وأسماء الله الحسنى: كل هذا كان أرضية حقيقية لما جاء بعد ذلك حين قرأنا «الرسالة» و«الهلال» و«المقتطف».

*** عملتم بالقرب من الأستاذين: «حسن البنا» و«أحمد حسن الزيات». فما أثر كل منهما على الخط الفكري والأدبي في مؤلفاتكم؟**

– الحقيقة أنني عايشت جيلاً ضخماً من المفكرين والأدباء في دائرة أوسع مما ذكرتم في سؤالكم، فإني قد قابلت آخر من قابل الشيخ «جمال الدين الأفغاني» من الأحياء: الشيخ «عبد القادر المغربي» وآخر من قابل السلطان «عبد الحميد»، فامتد وجودي الفكري إلى أكثر من أربعين عاماً، وعرفت من عرف الشيخ الإمام «محمد عبده» و«شكيب أرسلان» و«رشيد رضا» و«الكواكبي»، وسمعت منهم أخبارهم، وعرفت جذور حركة اليقظة الإسلامية المعاصرة، التي جاء الأستاذ «البنا» بعد ذلك مجدداً لها، كما

عرفت على الطريق الآخر: «محمد حسين هيكل»، و«عباس محمود العقاد»، و«أحمد حسن الزيات» و«الدكتور طه حسين» وعرفت وجهتهم وغايتهم، وقد كتبت عن أكثر من ثلاثمئة من أعلام الإسلام والفكر الإسلامي والأدب العربي من المحيط إلى الخليج، ما تركت مجدداً أو مصلحاً في المغرب أو الجزائر أو بلاد الشام أو العراق أو الجزيرة العربية إلا نوهت بفضله وأثره، وفق منهج أصيل جامع للإسلام.

في آخر حديث له قبل وفاته قال: إن طه حسين لم يغير رأياً من آرائه التي قالها طوال حياته

*** حظي الأستاذ الدكتور «طه حسين» بأكثر من كتاب منكم، فما هو السر في ذلك على الرغم من وجود أمثال «طه حسين» على الساحة الإسلامية والعربية.**

– لو أنكم درستم مخطط الغزو الثقافي والتغريب، فمثلاً من مؤامرات الاستشراق والتبشير والشعوبية التي عملت منذ وقت بعيد لتزييف مفهوم الإسلام الحقيقي، لعرفتم إلى أي حد استطاعت هذه القوى المبثوثة في الجامعات الغربية والراصدة لكل الشباب المسلم المثقف المهاجر للتعليم في الغرب لاحتوائه واصطناعه لخدمة الثقافة الغربية والفكر الأوربي في بلاد المسلمين. ولقد سافر إلى الغرب كثيرون، منهم من كان يملك رصيداً ثقافياً إسلامياً حماه وحفظه من الاحتواء، أمثال: «محمد المبارك» و«مالك بن نبي»، ومنهم من عجز عن أن يحقق شيئاً هنالك لأنهم فرضوا عليهم مفاهيمهم، فرفض وعاد أمثال الدكتور «ضياء الدين الريس»، ومنهم من جامل مكبلاً، ومنهم من صدع فكتب رسالة في مضادة مفهوم الإسلام كالدكتور منصور فهمي الذي عاد عن آرائه، والدكتور محمد حسين هيكل الذي كشف زيفهم، والدكتور زكي مبارك الذي أطاعهم في شيء ورفض أشياء، فأسلموه لمن انتقم منه، أما الدكتور طه حسين فهو الرجل الوحيد الذي اصطنعوه وهو طالب في الجامعة المصرية القديمة، وحبسوه في خانة مغلقة بين سكرتيره وزوجه الفرنسية، فظل إلى نهاية حياته خادماً للفكر الوافد، لم يترك مجالاً من مجالات الفكر الإسلامي إلا أثار فيه الشبهات.

حول سيرة الرسول ﷺ في «على هامش السيرة»، حول سيرة الصحابة في «الفتنة الكبرى»، حول مفهوم الأدب العربي كجزء من الفكر الإسلامي في «الشعر الجاهلي»، ووصم عصر الصحابة بالمجون والانحلال في «حديث الأربعاء»، حول إلقاء زعامة الفكر العالمي لليونان في «مادة الفكر»، حول تدمير «ابن خلدون» و«أبي الطيب المتنبي» في كتابيه عنهما.. وهكذا..

ومن هنا كان لابد إذا أردنا مواجهة حملة التغريب والغزو الثقافي على الساحة الإسلامية والعربية أن تكون نقطة البدء هي كشف مخططات طه حسين التي من شأنها أن تكشف كل التغريبيين ممن كونهم وممن جاؤوا بعده.

*** هل فكْرُ الدكتور «طه حسين» يشكل خطراً على الإسلام والمسلمين، وما رأيكم في توبته وإنابته بعد شطحاته في كتاب «الشعر الجاهلي»؟**

– لعلك عرفت مما فصلته في الإجابة السابقة مدى ما قدم «طه حسين» من شبهات حين زيف سيرة الرسول ﷺ بإدخال الأساطير إليها، وحين قال لطلبته: إن القرآن هو كتاب أدبي..! فقولوا فيه كما تقولون في كتب الأدب، هذا كذا.. وهذا كذا.. فهو يؤمن ببشرية القرآن وينتقده.

ويقولون إنه – أي القرآن – في مكة كانت عباراته جافة، وفي المدينة عندما اتصل باليهود رقت عباراته، وهو الذي قال: إن الدين خرج من الأرض كما خرجت الجماعة ولم ينزل من السماء.

أما أنه – طه حسين – قد تاب وأناب فذلك أمر قد خفي عنا، ونحن نسأل: إذا كان قد تاب فما رأيه فيما نثره من سموم، ما تزال منثورة في كتب تطبع ويقرؤها الناس. ما هي مسؤوليته أمام الأجيال، أما كان عليه أن يعترف كما اعترف الذين غيروا آراءهم، والحقيقة أن «طه حسين» في آخر حديث له قبل وفاته مع فؤاد دوارة، قال بصريح العبارة: إنه لم يغير رأياً من آرائه التي قالها طوال حياته، وهذا مسجل لا ريب فيه، وإن كنا نسأل الله له المغفرة، فإننا بما نكتب نحذر أبناءنا من نبع سمومه المنثورة في كتبه، ولقد استعرضت كتبه واحداً واحداً في مجلة «منار الإسلام».

*** لكم كتب رائدة في الفكر والأدب: فهل يمكن تحديد المحاور الأساسية وحصر القضايا التي تتناولها هذه الكتب المتعددة؟**

– الحقيقة أنني عملت في عدة ميادين:

أولاً: ميدان تصحيح المفاهيم:

وذلك في مواجهة الأطروحات التغريبية التي قدمها الاستشراق من سموم في مجال القرآن والسنة والسيرة، والشريعة الإسلامية، واللغة العربية، والأخلاق، والنفس، والاجتماع، والتربية وهو أكبر ميادين العمل في الحقيقة وفي نطاقه قدمت «معلمة الإسلام».

ثانياً: ميدان التراجم:

وقد قدمت دراسة شاملة لأعلام الإسلام في العصر الحديث من خلال الدراسات القومية والوطنية، وفي مجال العقائد والتاريخ والأدب العربي.

ثالثاً: ميدان الأدب العربي:

في مواجهة مذاهب تأريخ الأدب العربي ونقده الوافدة، وتحرير

هاجمت سفراء التغريب من أبناء جلدتنا لأنهم يجسدون مخططاً خطراً يهدف إلى تشكيكنا في ديننا وتاريخنا وثقافتنا

الأدب العربي في مختلف مجالاته من هذه المطروحات وخاصة فيما يتعلق بالشعر الحر، والقصة، والأساطير التي تسمى «الفلكلور».

وللإسلام في مختلف مجالات الأدب مفهوم أصيل، ويرفض الأدب العربي المفهوم المادي الذي طرح في الجامعات وكليات الآداب ليكون مصدراً لدراسة الأدب العربي.

رابعاً: في مجال التاريخ الإسلامي:

بهدف تحريره من التفسير المادي ومناهج التفسير الوافدة، سواء أكانت غربية أم ماركسية، وكشف زيف الشبهات التي قدمت في مجال التاريخ الإسلامي.

وفي هذه المحاولات جميعها قدم الكاتب دراسات متعددة من أهمها موسوعة صغيرة تحت عنوان «الشبهات والأخطاء الشائعة».

ولما كان الفكر الإسلامي فكراً جامعاً، فإن الباحث المسلم يجب أن يكون ملماً بجميع عناصره، فإذا كان له تخصص في واحد منها بعد ذلك فلا مانع.

*** هل يمكن وضع ما تمثلونه من فكر في اطار مدرسة أدبية وفكرية؟ ومن يمثل هذه المدرسة معكم على مستوى العالم الإسلامي؟**

– الحقيقة أن عملي كله يعد جزءاً من مدرسة الأصالة الإسلامية التي حمل لواءها الأبرار الذي سبقوا على الطريق، والذين حملوا لواء مفهوم الإسلام الجامع بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع، وقد قام كثير من أعلام هذه المدرسة كل منهم بدوره، وأعتقد أن عملي كان أقرب ما يكون إلى دعم وإرساء مفهوم «المنهج الإسلامي الجامع المتكامل» الذي إذا توافر تحقق منه إيمان بأن الإسلام له نظام متكامل جامع في مواجهة الأنظمة والمناهج الغربية المطروحة الآن في ساحة الفكر العالمي. ويتميز نظام الإسلام بأنه قادر على مقابلة العصور والبيئات لسعته، ومرونته وقدرته على العطاء دون أن يقع فيما تقع فيه المناهج البشرية، أعني عجزها عن التجاوب مع أصناف البيئات والعصور مما يلجئ أصحابها إلى تعديلها، بالإضافة والحذف، أما الإسلام فلانه رباني المصدر، فقد امتاز بعالميته وإنسانيته وقدرته الممتدة في العطاء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ونحن مطالبون بتطبيقه على أنفسنا وأن نبلغه للعالمين، وندعو إليه الناس الذين يتطلعون الآن بعد أزماتهم المتصلة إلى ضوء جديد يسعد حياتهم ويحقق أشواقهم، ولن يكون غير الإسلام.

*** في أحاديث أذيعت في ذكرى الدكتور طه حسين، سمعنا أن البعض يتهمونكم بالوقوف ضد الأفكار الحديثة التي تحارب الرجعية والتخلف، والتفكير بعقلية القرون الوسطى.. فما رأيكم؟**

– لم تعد كلمات الرجعية والتخلف والتفكير بعقلية القرون الوسطى تخيف أحداً، فقد فهم الناس جميعاً أن الحملة على القديم إنما يقصد بها الإسلام والقرآن، ولكن أصحابها لا يستطيعون التصريح بذلك، وماذا في كتابات «طه حسين» والعلمانيين والليبراليين والماركسيين يمكن أن يكون عملاً إيجابياً يحارب التخلف؟ لقد جرب المسلمون خلال أكثر من مئة عام تجربتين : تجربة النظام الغربي الليبرالي، والنظام الماركسي الشيوعي، وأسفرت التجربتان عن الهزيمة والنكبة والنكسة، وضياع القدس وفلسطين، وسيطرة مفاسد الحضارة الغربية وإباحيتها وتدميرها للأسر والجماعات، وقد تبين بما لا يدع مجالاً للشك اليوم أن الطريق الصحيح الذي يؤدي إلى امتلاك المسلمين لإرادتهم وإقامة مجتمعهم، واقتعاد مكانهم الحق فوق هذا الكوكب، إنما هو مستمد من منهجهم الأصيل الذي رباهم، وكون أجيالهم، جيلاً بعد جيل منذ أربعة عشر قرناً، وأن تجارب الآخرين لا يمكن أن تنفع المسلمين إلا على أساس أنها تنظيمات لا نظم، وأساليب عمل لا مناهج حياة، ولما كان المسلمون يملكون أصفى منهج وأعظم نظام بشهادة الغربيين المنصفين من رجال القانون والعلماء التجريبيين، فإن ما يقوله الماديون والعلمانيون لا يمثل شيئاً ذا بال، وقد أفسد «طه حسين» الحياة الفكرية زماناً طويلاً، وتابعه في ذلك جماعة التغريبيين الذين انكشف أمرهم حين خدعوا المسلمين بالدولة العصرية، فكانت النتيجة هذه الهزيمة، ولو استلهم المسلمون منهجهم الأصيل لحققوا ما حققه المسلمون السابقون، وهو الطريق الوحيد الذي لن ينفعهم شيئاً غيره مهما جربوا وغيروا وبدلوا.

*** ما هي الكتب التي تحب أن تخطها في الأيام القادمة لتتم بها رسالتك في سبيل الإسلام، وما عدد المطبوعات من مؤلفاتكم حتى الآن؟**

– لا حرج على فضل الله، والحمد لله الذي هدانا لهذا، وأمل أن أوفق إلى إتمام «معلمة الإسلام»، والعبرة ليست بالكم ولكن بالكيف، والله الموفق.